



الشيخ الهبري مجاوي وحركة الإصلاح في منطقة بني وارسوس (غرب تلمسان)

Sheikh El-Hebri Medjaoui and the reform movement in the Beni Ouarsous region (West of Tlemcen)

فتيحة بن قو*

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الشلف (الجزائر).

البريد الإلكتروني المهني: F.benkou@univ-chlef.dz

تاريخ النشر	تاريخ القبول	تاريخ الإيداع
2022/04/16	2022/03/10	2022/03/01

الملخص: لقد اقتضت الأوضاع في الجزائر الى الاهتمام بالعلم والمعرفة من أجل تنوير العقول التي أفسدها الاستعمار الفرنسي، فبرز علماء من كل القطر الجزائري وبدأت معهم حركة الإصلاح آنذاك بالتكوين والازدهار متخذين من القرآن الكريم والسنة النبوية سلاحا ضد الصراع القائم خاصة في الحياة السياسية والاجتماعية.

يختص هذا البحث بتقديم أحد رواد حركة الإصلاح في الجزائر، وهو العلامة الشيخ السي الهبري مجاوي المنتمي لمنطقة بني وارسوس في أعلى جبال ترارة (غرب تلمسان)، والزراع لبذرة من بذور الإصلاح في تلمسان عامة وفي منطقة الرمشي خاصة، بهدف ترسيخ حقيقة أن العلم كان ولا يزال الرائد الأول في حل جميع مشاكل الحياة السياسية منها والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: حركة الإصلاح؛ الشيخ السي الهبري المجاوي؛ بني وارسوس؛ تلمسان

Abstract: The situation in Algeria necessitated an interest in science and knowledge in order to reform the minds that were corrupted by the French colonization. Scientists from all the Algerian countries emerged, and the reform movement began with them in formation and prosperity, using the Quran as a weapon against the ongoing conflict, especially in political and social life.

This research focuses on the presentation of one of the pioneers of the reform movement in Algeria, the scholar Sheikh El-Hebri Medjaoui, who belongs to the region of Beni Ouarsous in the highest mountains of Traras (West of Tlemcen), and who planted a seed of reform in Tlemcen in general, and in the Remchi region in particular,

* المؤلف المرسل

with the aim of establishing the fact that science was and remains the first pioneer in solving all the problems of political and social life.

Keywords: the reform movments ; Sheikh Elhebri Medjaoui ; Beni Ouarsous ; Tlemcen

مقدمة:

يقول ابن باديس: (لا طريق لتحرّر البلاد من المستعمر دون تحرير للعقول). ويقول أيضا: (إذا علمت ولدا، فقد علّمت فردا، وإذا علّمت فردا فقد علّمت أمة).

ان حب العلماء المسلمين الجزائريين ورجال العلم والدين للوطن وشغفهم بعلوم الشريعة واللغة جعلتهم يناضلون ويحاربون بفكرهم ودينهم وقيمهم من خلال نشر الوعي والدين والعلم بين أفراد المجتمع وتحريره مما بثه فيه الاستعمار من جهل وتشويه.

لقد سعت فرنسا في سياستها الى صناعة جيل جاهل لتاريخه، رافضا لدينه وعرقه ونابذا لعاداته وتقاليده وتراثه، وذلك ليسهل عليها تجسيد هدفها ومخططها الذي يرمي الى جعل الجزائر جزءا لا يتجزأ من فرنسا. فمنعت تعليم اللغة العربية في المدارس، كما أعلنت طمس معالم الهوية الجزائرية الى الأبد.

ان هذا الاستبداد والظلم أيقظ في نفس رجال الدين والعلم وعلى رأسهم عبد الحميد ابن باديس روح الوطنية وحب العقيدة، فناضلوا واجتهدوا الى أن حققوا أكبر انجاز وهو تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من ماي سنة 1931 والتي هزت الجزائر بشعارها " الاسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا". (صلاح، 2011، ص 75)

وقد سعى العلماء خلال هذه الفترة الى توعية الشعب وتعليمه أصول الدين والعقيدة بهدف انتشاله من الجهل والتبعية، من خلال الخطب والدروس والمحاضرات التي كانت تقام في المساجد والزوايا التي أسسوها، وبالتالي احتلت الجمعية مكانة في الحركة الوطنية حيث ساهموا في مواجهة الطرقية وتعليم اللغة العربية والمحافظة على القيم الإسلامية والثقافية (رمعون، 2006، ص 13-29)

وهكذا لعب الوازع الديني دورا كبيرا في الاصلاح السياسي والديني في المغرب العربي عامة وفي الجزائر خاصة. فعمّت هذه السياسة كل ربوع الوطن الى أن وصلت الى منطقة معزولة من جبال ترارة وهي منطقة بني وارسوس التابعة لدائرة الرمشي ولاية تلمسان على يد الإمام والشيخ الهبري المجاوي رحمه الله.

وفي هذا السياق وبهدف إثراء المعطيات الأساسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية والدينية والسياسية، سنحاول الكشف عن رمز من رموز الإصلاح والعلم في الجزائر عامة وفي منطقة بني وارسوس خاصة.

فمن هو هذا الشيخ الجليل؟ وما هي رحلته مع الاصلاح والعلم والدين؟

1. التعريف بالشيخ الهبري مجاوي: مولده وأسرته

هو الهبري ابن سيدي محمد ابن عمر، ابن محمد بلحاج المجاوي رحمه الله. ولد يوم الأربعاء 6 ذو الحجة 1323 هـ الموافق ل 31 جانفي 1906 بمنطقة معزولة تدعى الحويسي¹ التابعة لبلدية بني وارسوس دائرة الرمشي ولاية تلمسان (مجاوي وابن عامر، 2011، ص 20).

نشأ الشيخ السي الهبري في أحضان أسرة عريقة في العلم و الجاه، و كان والده بارا به، فحرص على أن يربيّه تربية اسلامية خاصّة، فنشأ منذ صغره في رحاب القرآن فشبّ على حبه و التخلّق بأخلاقه.

كان والده صاحب زاوية لتعليم القرآن حيث كوّنّت الكثير من الطلبة حفظة القرآن الكريم، و جدّه من أمه المدعى مليح عبد الله أيضا كان صاحب زاوية لتعليم القرآن الكريم² في منطقة تدعى الناطور ليست بعيدة عن منطقة الحويسي.

للشيخ الهبري أخوان، وهو أوسطهم، أخوه الأكبر السي بلحاج الذي فتح بمساعدة أبيه مدرسة قرآنية لتعليم القرآن في منطقة ليست بعيدة عن الحويسي، وأخوه الأصغر السي

محمد والملقب بالسي القندوز والذي كون هو الآخر العديد من حفظة القرآن الكريم (مجاوي وابن عامر، 2011، ص 20-21).

تزوج الشيخ السي الهبري وأنجب عظماء الرجال وكانت تجمع بين العلم والدين والقيم، ونذكر منهم الشهيد مجاوي رشيد المتحصل على البكالوريا قسم 1 والمجاهد عبد العليم أطل الله في عمره الذي التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني بنواحي العاصمة وهو في السنة الثانية طب وقد كان جد متفوقا على زملائه.

دون أن أنسى المجاهدة الحاجة سكينه زوجة الحاج عبد الرحمان المجاوي أطل الله في عمرهما والتي ساهمت هي بدورها في نشر العلم والقيم والأخلاق والتوعية وكانت تشغل دور "الاتصال"³ في منطقة الرمشي⁴.

توفي العلامة السي الهبري رحمه الله في يوم 11 فبراير سنة 1988م بمنطقة الرمشي ولاية تلمسان.

كما لا ننسى أن عائلة مجاوي تضم 11 شهيدا و نذكر من بينهم، مجاوي رشيد نجل الشيخ السي الهبري وأولاد عمه مجاوي محمد ومجاوي عبد القادر و ابراهيم وغيرهم⁵.

2. نشأة العلامة الشيخ السي الهبري مجاوي

ختم الشيخ السي الهبري القرآن الكريم على يد والده وأخيه الأكبر في سن التاسعة من عمره، حيث أكرمه الله بالفطنة والذكاء وقوة الذاكرة. وبعدها التحق بالطلبة المسافرين وهو لا يزال صبيا لمدة سنتين، ثم التحق بحضرة الشيخ مصطفى بن رايح ليتلقى على يده مبادئ علوم الدين لمدة أربع سنوات، ثم التحق بمعهد الحاج الجيلالي بالعطاف من عمالة الأصنام⁶ آنذاك، حيث مكث بها أربع سنوات أتم فيها دراسته، ثم انتقل بعدها الى جامعة القرويين بفاس في المغرب الأقصى حيث انخرط في سلك طلبتها من سنة 1929 الى سنة 1939 حيث درس هنالك العلوم الدينية من لغة ونحو وفقه وحديث على يد علماء أجلاء من بينهم نذكر الشيخ عباس البناني والشيخ القرشي والشيخ أبو الشتاء الصنهاجي والشيخ

عبد السلام العلوي والشيخ محمد الحاج الملقب بابن المحشي (مجاوي وابن عامر، 2011، ص 24).

و لما أتم دراسته في القرويين سنة 1931 رجع الى مسقط رأسه حيث لقب بالفقيه السي⁷ الهبري.

بعد زواجه مباشرة، انتقل الى قرية "عين الحوت" بضواحي مدينة تلمسان حيث انتصب للتعليم والافادة. وعندها كان له الحظ الكبير في لقائه مع الشيخ البشير الابراهيمي الذي انتصب خطيبا واماما بالجامع الكبير بتلمسان، حيث أعجب بدروسه و محاضراته في تفسير القرآن الكريم و الحديث الشريف. و لازمه في القيام بأعمال جمعية العلماء العلمية و الدعائية و الادارية (مجاوي وابن عامر، 2011، ص 24).

وعليه اعتنق فكرة الاصلاح العديد من الشباب في منطقة تلمسان وبني وارسوس وكل المناطق المجاورة، فراحوا يطلبون العلم ملتحقين بمختلف المدارس والمساجد والزوايا. وعليه أصبح يلقب الشيخ الهبري من قبل أهل منطقته "بالباديسي" نسبة الى العلامة عبد الحميد ابن باديس⁸.

ظل الشيخ السي الهبري على اتصال دائم بالبشير الابراهيمي منذ قدومه الى تلمسان الى غاية سنة 1938، حيث أغلق الاستعمار الفرنسي مدرسة "عين الحوت"، فاضطر الشيخ السي الهبري الى العودة الى منطقة الرمشي أين باشر بحركة الاصلاح في هذه المنطقة. فأسس مدرسة "الرمشي"، وعلم بها وأشرف عليها. فانتخب كعضو اداري بالمجلس الاداري لجمعية العلماء، وهو أعلى مجلس بها، وواصل حركته الاصلاحية ونضاله ضد الجهل والاستبداد الى أن اعتقل من طرف السلطة الفرنسية سنة 1955 (مجاوي وابن عامر، 2011، ص 26-27).

3. رحلة الشيخ السي الهبري مع السياسة

1.3 قبل الثورة

ان رحلته مع النضال والثورة دونتها أحد أولاده وتحدث عنها من خلال مذكراته التي تركها رحمه الله.

لقد انضم الشيخ السي الهبري للسياسة سنة 1934، حينما كان مقيما "بعين الحوت" كواعظ ومرشد حر، و ذلك عن طريق احتكاكه ببعض الرجال المثقفين باللسانيين العربي والفرنسي ومطالعة بعض الكتب مثل " حياة الشرق" وبعض جرائد العلماء المسلمين الجزائريين اضافة الى مرافقته للبشير الابراهيمي طيلة عمله في تلمسان.

ان ما رآه من ظلم و استبداد في حق الشعب الجزائري من طرف الاستعمار الفرنسي كونت لديه عقيدة وطنية جعلته ينشر الدعاية ويدافع عن الحق، حتى مثل للمرة الأولى أمام " الكوميسار" المركزي بتلمسان سنة 1936، حيث طلب منه رخصة التعليم فدافع المجاوي عن نفسه بحجة أنه عالم بمبادئ الدين للكبار ولا لزوم للاذن ما دام تعليمه دينيا محضا. فاستمر نضاله ضد الاستعمار الفرنسي حتى أصدروا حكما بمنعه من التعليم الحر، فاضطر الى فتح حانوتا للعيش الكريم بمنطقة الرمشي سنة 1937، وواصل الدعايات باسم الدين الحق والوطنية، فتعرض للمضايقة من طرف الاستعمار، حينئذ اضطر الى الانخراط في جمعية العلماء المسلمين قصد الاستعانة بهم والاحتماء. فزادهم ذلك تألبا وزاد في نفسه تشجيعا وحباً في الوطن، ففتح مدرسته بمدينة الرمشي للتعليم العربي الاسلامي وكان حانوته المتواضع مركزا للاتصالات الدينية والسياسية. ولما علمت السلطة الفرنسية أغلقت اداريا لمدة سنة (مجاوي وابن عامر، 2011، ص 26-27).

2.3 بعد الثورة

في سنة 1954، ثارت السلطة الاستعمارية الرجعية الطرقية ضده، حيث اعتقل بصفته خطيرا على سلامة الدولة في معتقل بوسوي ثم معتقل آفلوا، ثم معتقل آر كول ثم بوسوي ثانيا، ومنه أطلق سراحه في الفاتح يناير 1957. فمكث بداره تحت الرقابة الشديدة الى أن

القي عليه القبض مرّة أخرى في 11 جوان 1957 وزجّ به في سجن بجبال ترارة بمنطقة بني وارسوس لمدة خمس أشهر استغلها الشيخ السي الهبري في نشر الوعي واليقظة بين المعتقلين وتعليمهم أصول الدين والفقّه.

وبعد أن أطلق سراحه تحت المراقبة، لم يستسلم وواصل العلامة نضاله في مجال اختصاصه وهي الدعاية والاستعلامات ورفع معنويات الشعب والفصل في قضايا الدين والفصل بين المتنازعين والابلاغ عن الخائنين (مجاوي وابن عامر، 2011، ص 27).

3.3 بعد الاستقلال

كلّف الشيخ السي الهبري غداة الاستقلال من طرف جبهة التحرير الوطني بتوليه مهمة القضاء والفصل بين المتنازعين، حيث عمل في هذا المنصب ثلاث أشهر، ثم كلفه حزب جبهة التحرير الوطني بتسيير قسمة مدينة الرمشي.

بعدها طلب العلامة اعفاءه من العمل الحزبي سنة 1962 واختار أن يكرّس حياته لخدمة الدين، فعين اماما وخطيبا في مسجد سيدي ابراهيم المصمودي بتلمسان من جانفي 1963 الى غاية ديسمبر 1967 وفي تلك العهدة كلف بتدريس الفقّه والعبادات (مجاوي وابن عامر، 2011، ص 29).

نقل بعدها الشيخ الى الجامع الكبير بتلمسان واشتغل فيه اماما وخطيبا ومدرسا الى أن عين مفتشا بوزارة الشؤون الدينية في تاريخ 15 مارس 1970، ثم انتقل الى ولاية سعيدة واشتغل في المنصب نفسه الى غاية 25 سبتمبر 1974، حيث رجع الى تلمسان كمفتش واستقال من منصبه في السنة نفسها، وكلف بالتدريس وخطبة الجمعة في الجامع الكبير بتلمسان الى أن وافته المنية يوم 11 فبراير 1988 بمنطقة الرمشي (مجاوي وابن عامر، 2011، ص 29).

4. مؤلفاته

ان حركة الإصلاح في الجزائر كان أساسها القرآن الكريم فهو المنهج الإسلامي والعقلاني الذي بواسطته نقرأ حقائق ونظريات علمية، فهو منهج أساسه و قوامه النظر العقلي و التدبر والتبصر وأعمال الفكر (الشيخ ، 2014). ان كل ما ورد في القرآن الكريم ليس من أجل الاخبار فقط ولا من أجل التحدي العلمي، وانما هي فاتحة عهد الاجتهاد العلمي و العملي (الشايف، 1998، ص 84-85).

يقول الله تعالى « و ما من دابة في الأرض و لا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون». (الأنعام: 38).

وهذا يعني أن ما جاء في القرآن الكريم هو حقيقة مطلقة، قابلة للبحث والاجتهاد من أجل تحقيقها. وهذه هي مهمة العلماء المسلمين الذين استغلوا عقولهم وقدراتهم طبقا لما جاء في القرآن الكريم من أجل افادة المجتمع وتعليمه واصلاحه في شتى مجالات الحياة.

فالعلامة الشيخ السي الهبري كغيره من العلماء المسلمين قدم الكثير لوطنه عن طريق الدروس والمحاضرات التي ألقاها طيلة حياته في المساجد والمدارس والزوايا، حيث اخصت بتفسير القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومن مؤلفاته رحمه الله " واحة الوعظ والاعتبار من كلام العزيز الغفار"، وهي واحة بمعنى الكلمة، والتي تعتبر أعظم انجاز قام به أولاده تخليدا لروحه ولتعم به المنفعة على الأمة جمعاء، وهو من جمع نجله الأستاذ توفيق المجاوي وتحقيق الأستاذ المختار ابن عامر سنة 2011 (مجاوي وابن عامر، 2011).

تتألف هذه الواحة من 121 درسا في الوعظ والارشاد و تفسير آيات من القرآن الكريم والتي ألقاها في المسجد الكبير بتلمسان، نذكر منها:

مقدمة في التذكير بالقرآن الكريم، التوبة النصوحة ترد السيئات حسنات، في العقيدة والتزكية والدعوى الى الله، التوحيد وأثره والشرك وأثره، غنى الله وافتقار العباد اليه، نور الاسلام يبعث الحياة في البشرية وغيرها من الدروس القيمة والهادفة.

اضافة الى مؤلف " مبتغى الطالب الهاوي" من جمع أيضا الأستاذ توفيق المجاوي وتحقيق الأستاذ المختار بن عامر في جوان 2020 (مجاوي وبن عامر، 2020).

كما أن لجنة التحكيم العليا التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المسؤولة عن جميع المدارس العربية الحرة التابعة للجزائر ولبعض المدن الفرنسية، ترى أن الشيخ السي الهبري في مستوى درجة الأستاذية، وأنه لينال هذه الدرجة عن جدارة واستحقاق (سمراد، 2018، ص 4-24).

5. خاتمة:

لقد شارك العلامة الشيخ السي الهبري ابن منطقة بني وارسوس في بناء الجزائر المستقلة حيث قام بجهود كبيرة تستحق التقدير والثناء كغيره من العلماء المسلمين الذين ضحوا بالنفس والنفيس.

فبفضلهم نتعلم الآن ونتقن العربية وأمور الدين والعقيدة وننعم بالاستقلال، فجازاهم الله أحسن جزاء ورحمهم برحمته الواسعة.

ولا يسعني كوني ابنة منطقة بني وارسوس، الا أن أقف وقفة اجلال واکرام لهذا الشيخ الجليل الذي يعد رائدا من رواد الاصلاح في الجزائر عامة.

الاحالات والهوامش

- ¹ الحويسي هي منطقة في بني وارسوس سميت بهذا الاسم نسبة الى "الحاسي" و هو البئر
 - ² تصريح الحاجة رقية المولودة سنة 1928 مجاهدة ببني وارسوس وهي من عائلة السي الهبري مجاوي هي مهمة كانت من اختصاص الفدائيين و هي نقل المعلومات والمخابرات بين المجاهدين³
 - ⁴ تصريحات أحد أحفاده و المدعو سمير المجاوي القاطن بمنطقة الرمشي
 - ⁵ تصريح المجاهد الحاج عبد الرحمان المجاوي ابن عم الشيخ الهبري مجاوي وصهره
 - ⁶ ولاية الشلف حاليا
 - ⁷ السي هو لقب كان يمنح لكل حافظ لكتاب الله
- تصريح الحاجة رقية المولودة سنة 1928 مجاهدة ببني وارسوس وهي من عائلة السي الهبري مجاوي

قائمة المراجع:

الشيخ الهبري مجاوي، (2011). واحة الوعظ و الاعتبار من كلام العزيز الغفار. تحقيق المختار ابن عامر، جمع التوفيق مجاوي. ط 1، ج 2. وزارة الشؤون الدينية و الأوقاف.

- مطبقاتي مازن صلاح حامد، (2011). جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية (1931-1939)، عالم الأفكار. ط1
- عكاشة الشايف، (1998). الاعجاز و الغيب في ضوء المنهج الذكرا تي. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
- توفيق مجاوي، ومختار ابن عامر، (2020)، مبتغى الطالب الهاوي، من دروس الشيخ الهبري مجاوي. سمير سمراد، (2018). مصابيح العلم، تصميم رؤوف ابن الجودي. نشرة دعوية تعني بالتراث والمخطوط والسير والتاريخ ، العدد3، ص 04- 24.
- خليفة الشيخ، (2014). موقف العقيدة الاسلامية من العقل. مجلة الانسان و المجتمع، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية. العدد الثامن، ص 137-150.
- حسن رمعون، (2006). الاستعمار، الحركة الوطنية و الاستقلال بالجزائر: العلاقة بين الديني والسياسي. المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا و العلوم الاجتماعية، انسانيات، ص 13-26.